



قصص المآسي لا تنتهي، وآخر ما سمعته منها قصة سيدة لبثت في السجن ثلاثة أشهر وعشرًا، فعرفت العذاب المهين والبذاءة في الكلام والوساخة في الإشارات والإيماءات، ورأت من العذاب الشديد، على جسدها الضعيف، مما لا زالت آلامه وآثاره مطبوعة على أنحاء جسدها النحيل.

دخلت السجن وزنها فوق السبعين، فخرجت منه وقد أصبح وزنها ثلاثين، وكان لها شعر طويل ثخين جميل، فجعلوه حبلاً يسحبونها منه صعوداً وهبوطاً على الأدراج، حتى فقدت أكثره من الشد والسحب والسحل وقاربت على الصلع. ومن أفضع البلاء الكهرباء، التي أتلقت الحس من أجزاء من جسمها نهائياً، وتسببت بتلفات دائمة في الأنسجة والجلد؛ ويأتون بسيدة لتجهز المعتقلة للصدمة! وكأنهم يهتمون بالستر ولديهم نخوة! فتثبت الأسلاك على طرفي الثديين أو خلف الرأس من الجهتين، ثم يسري التيار فيصعق ويحرق فتسقط الضحية مغمى عليها، ولا تدري ما فعل بها، لتصحو على شلالات من الماء تلقى فوق جسدها، فترتعش، وترتجف من البرد أو من شدة الألم ويأتون برجال أشداد لجلد نساء رقيقات وبأيديهم كابلات مجدولة مختلفة الأحجام والأنواع، يختار منها المجرم ما يشاء، ويضرب بها بكل قسوة وعنف وثبات، مما يؤدي إلى كسر اليد أو الأصابع، أو إصابة العين أو شرخها، وتبقى الضحية مدة لا تستطيع تحريك يدها أو رجلها أبداً، فالأورام والنزف والانتفاخ الكدمات في كل مكان، ولا يوجد من جسمها شبر إلا وفيه ضربة سوط أو جرح أو سحجات. وتعود إلى الزنزانة عاجزة عن الحركة، فإذا أرادت الأكل انحنت فوقه وأكلت بفمها كما تأكل الحيوانات، والطعام قليل وسيء

وتسبح فيه - أحياناً - الصراصير والفئران، وفيه أوساخ ونجاسات.

كانت السيدة تتكلم بما يخطر لها وأنا أسمع، فتطوعت وحدها ونفت تعرضهن للاغتصاب، سوى ما رأته بعينها من مصاب: قالت كنا إذا فتحوا الباب نخاف، ونتكوم في طرف الزنانة خوفاً من الجلد والإيذاء، وكلما دخلوا علينا ضربونا بالسياط، حتى ليصيبوا العين أو الأذن بأشد الإصابات، وإن أذني ما تزال تؤلمني من كثرة القرصات والشد والفتل... وذات يوم فُتح الباب، ورموا فتاة صغيرة لم تتجاوز السادسة عشرة، ودخل على إثرها أحد المجرمين ممن أعطاه الله بسطة في الجسم وختم على قلبه وعقله فلا يعقل ولا يلين، وبدأ يتحرش بها أمام الجميع، فازداد خوف النساء وانكماشهن.

كلهن تقول نفسي نفسي، وتخشى إن تكلمت أن يصيبها سوء الحساب، فلما بدت نوايا الشاب وهجم على الفتاة، وصارت تصيح وتستعطفه، تقدمت سيدة عراقية جريئة، في نخوة وشهامة قل مثيلها، وقالت بحماس: هذه طفلة، دعها وشأنها.

فلم تحظ بجواب. فلما تلهأ للجبين، قالت العراقية: خذ مني ما تريده منها وأعرض عنها، لكنه يتقصد الأبكار زيادة في الإذلال.

استعطفته الفتاة وتوسلت إليه، وقالت: أقبل رجلك واركني، فمدها إليها فلما انحنت وأكبت عليها رفسها بقسوة، وتابع.

قالت له بلهجة صادقة: أقسم بالله لأتيناك بالودي، ودعني في نقاء... ولم يجد شيء وأصيببت الفتاة بنزيف حاد والتهابات خطيرة، وتركها حالة نفسية مزرية، تخط رأسها بالجدارن وتبكي وتصيح يا ويلتاه...

هؤلاء الذين يحكمون البلاد، وأن للناس أن يرحموا السجينات وألا ينظروا إليهن بريئة أو اتهام، فأكثرهن لم يقترب منهن إنسان في الاعتقال، وقلة تعرضن لاعتداء، وليس تفريطاً وإنما كانت وسيلة من وسائل العذاب (ويتمتعون بسماع توسلاتهن وعويلهن...)، وكما يعذبون الشاب بالضرب والتكيل والتشبيح والاعتداء الجنسي، فإنهم يعذبون به البنات، وأحياناً يفعلونها مرة واحدة وينسبونه للشرف ويلصقونه بالعفاف، فيثيروا حفيظة الآباء ليقتلوا بناتهم بأيديهم وأيدي الأقرباء.

فلا تكونوا معهم عليهن، وقد آن الآوان لنضع حداً لظلم المرأة ونحررها من القضايا التي سُلطت عليها.

ونحميها من أن تحمل وحدها عبء جنائية مالها فيها أي ذنب أو خطيئة